مدرسة قد سمح

بشرح المهندس علاء حامد

ملخص المحاضرة الثالثة عشر

علاء حامد
Alaa Hamed

الحمد لله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم.
أما بعد؛ فمرحبا بكم
في هذا اللقاء المبارك لمتابعة مدارسة سورة التغابن.

مدخل إلى سورة التغابن

في اللقاء الماضي بدأنا دراسة السورة، وبيّنا أن محورها هو معنى الخسران. وسمّي يوم القيامة يوم التغابن لأن الجميع يتحسّر فيه؛ فالكافر على ما فاته من الإيمان، والمؤمن على تقصيره في الطاعات.

(الآية 11)

﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ وَمَن يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ يَهۡدِ قَلۡبَهُۥۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ﴾

الإيمان بالقدر ومعنى المصيبة

تُعدّ هذه الآيات من الآيات الدالة على الإيمان بالقدر، وهو أصلٌ عظيم من أصول العقيدة، فالله سبحانه وتعالى علم وكتب ما كان وما سيكون، ولا يقع في ملكه إلا ما يريد، وهو خالق أفعال العباد، وقد خلق الله للإنسان قدرةً وإرادةً، وباجتماعهما يقع الفعل، فيكون مخلوقًا لله ومكسوبًا للعبد، فيُحاسَب عليه.
وهناك مصائب تقع خارج اختيار الإنسان، كالموت والمرض والحوادث، وكلها تقع بإذن الله.
﴿وَمَن يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ يَهۡدِ قَلۡبَهُۥۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ﴾
ربط سبحانه وتعالى بين الإيمان الصحيح بالقدر وبين هداية القلب.

اليقين بأن المقادير مكتوبة

وتظهر آثاره عند وقوع المصائب. فالمسلم يؤمن بأن:
ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن
وأنه لا يقع في ملكه إلا ما يريد
وأن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه.
نؤمن أن الله علم وكتب مقادير الخلق.
فإذا وقع الأمر علم المؤمن أنه قدرٌ لا بد أن يقع، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم:
«واعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وأن ما أخطأك لم يكن ليصيبك».

ومن تمام الإيمان أنه لا يصح الاعتراض بعد وقوع الأحداث.

قال النبي صلى الله عليه وسلم:

«ولا يقولن أحدكم: لو كان كذا لكان كذا؛ فإن "لو" تفتح عمل الشيطان، ولكن ليقل: قَدَّرَ الله وما شاء فعل».

" كلمة "لو" تجعل الإنسان يتأسف ويتألم ويندم، ويصل إلى مرحلة يكثر فيها من قول: لو كان كذا لما حدث كذا، فيفتح على نفسه باب عمل الشيطان، كما فعل المنافقون في غزوة أُحد،"

عندما قالوا:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَقَالُواْ لِإِخۡوَٰنِهِمۡ إِذَا ضَرَبُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَوۡ كَانُواْ غُزّٗى لَّوۡ كَانُواْ عِندَنَا مَا مَاتُواْ وَمَا قُتِلُواْ لِيَجۡعَلَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ حَسۡرَةٗ فِي قُلُوبِهِمۡۗ وَٱللَّهُ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ﴾ [آل عمران: ١٥٦]

فالموت مكتوب عليهم لا مفر منه.

ردَّ الله عليهم بقوله:

﴿ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُعَاسًا يَغْشَىٰ طَائِفَةً مِنْكُمْ ۖ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ ۖ يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ ۗ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ ۗ يُخْفُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَا لَا يُبْدُونَ لَكَ ۖ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَاهُنَا ۗ قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ ۖ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾ [آل عمران : 154]

قال تعالى:

﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مِّن قَبۡلِ أَن نَّبۡرَأَهَآۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ لِّكَيۡلَا تَأۡسَوۡاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمۡ وَلَا تَفۡرَحُواْ بِمَآ ءَاتَىٰكُمۡۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٍ ﴾
[سُورَةُ الحَدِيدِ: ٢٢-٢٣]

الأسى هو شدة الحزن، التي تؤدي إلى الإحباط والتعب النفسي.

الحزن عند المصيبة أمر فطري لا ينافي الإيمان بالقدر، فقد حزن النبي صلى الله عليه وسلم وبكى عند وفاة ابنه إبراهيم وأصحابه.

الإيمان بالقدر يهوّن المصيبة

الإيمان بأن ما وقع قدرٌ مكتوب عند الله يخفف وقع المصائب على الإنسان.

قال بعض السلف: ينبغي للمؤمن عند المصيبة أن يحمد الله على أربعة أمور:

1(أنها قد مرّت فلا محالة فيها.
2(أنها لم تكن أعظم من ذلك.
3(أنها لم تكن في الدين.
4(أن الله رزقك الصبر عليها وأعطاك أجرها.
قال النبي صلى الله عليه وسلم:
«اللهم لا تجعل مصيبتنا في ديننا، ولا تجعل الدنيا أكبر همنا».
المصيبة الحقيقية هي ما يصيب الدين، مثل ترك الصلاة أو الوقوع في الذنوب والمعاصي.

يُستحب أن يدعو المؤمن بأن يعوّضه الله خيرًا في الدنيا، فإن المصيبة قد تكون فرصة لكسب الأجر وزيادة الثواب.
تفسير ابن كثير رحمه الله لمعنى الصبر والرضا
"ذكر في كتابه "المصباح المنير"

قال ابن كثير:
ومن أصابته مصيبة فعلم أنها بقضاء الله وقدره، فصبر واحتسب، واستسلم لقضاء الله، هدى الله قلبه، وعوضه عما فاته من الدنيا هُدىً في قلبه، ويقينا صادقا، وقد يخلف عليه ما كان أخذ منه، أو خيرا منه
يهدي قلبه: إذا صبر واحتسب
ورضي بالله: عوّضه الله عما فاته من الدنيا.
قد يخلف عليه ما كان أخذ منه أو خيرًا منه: يعوضك بالهدى واليقين في القلب، وذلك أفضل من الدنيا التي فُقدت. وقد يعوضك بالدنيا نفسها أو بما هو خير منها.
قال تعالى:
﴿ إِن يَعۡلَمِ ٱللَّهُ فِي قُلُوبِكُمۡ خَيۡرٗا يُؤۡتِكُمۡ خَيۡرٗا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [الأنفال: ٧٠]
أصحاب الجنة عندما احترقت جنتهم، قابَلوا ذلك بفهم ورضا وقدرة على التوكل على الله، فقالوا:
﴿ عَسَىٰ رَبُّنَآ أَن يُبۡدِلَنَا خَيۡرٗا مِّنۡهَآ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا رَٰغِبُونَ﴾ [القلم: ٣٢]
الإيمان بالقدر يوازن مشاعر الإنسان بين الرضا وعدم التعلق أو المبالغة في الفرح.
ينبغي أن يكون الفرح بالنعمة مقرونًا بشكر الله والرضا عنه، حتى لا يقود إلى العجب والكبر، مع استحضار أن كل فضل إنما هو من الله وحده، وأنه مقدَّر ومكتوب في اللوح المحفوظ.

ملخص المحاضرة الثالثة عشر

العدو المحبوب

دور الإيمان بالقدر في مواجهة المصائب.

1. الإيمان بالقدر يمنح المؤمن السكينة والطمأنينة عند وقوع المصائب ويحميه من الإحباط أو الاكتئاب وبداية الأمراض النفسية.
2. الربط بين المصائب والتغابن: فقوة الإيمان تحدد تأثير المصيبة على الإنسان؛ فتكون للمؤمن القوي فرصة للصبر وكسب الأجر وتكفير السيئات، ورفع الدرجات، وتعلم الصبر، وتهذيب النفس. أما الضعيف فتنال منه وتثقل قلبه.
3. المؤمن يتفكر: هل المصيبة عقوبة أم ابتلاء، أو تكفير للذنوب؟ وكان السلف عند المصيبة يراجعون أنفسهم.
4. كل خير وشر يصيب المؤمن نافع إذا كان مطيعًا لله.

(الآية 12)

﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَۚ فَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ﴾

قد تكون المصائب ابتلاءً من الله لا عقوبة، والمؤمن المواظب على طاعة الله ورسوله ينعم بالطمأنينة، ويُحسن الظن بربه، موقنًا أن كل ما يصيبه خيرٌ له.

وعند نزول المصيبة، يراجع المؤمن نفسه متسائلًا: أهي عقوبة على ذنب، أم ابتلاء لرفع الدرجات وتكفير السيئات، كما ابتُلي الأنبياء والصالحون؟ فيتفكر ويبحث عن موضع التقصير.

وقد قال بعض السلف: «إني لأعرف ذنبي في خلق دابتي وامرأتي».

أي أنه إذا واجه ما يكدّر حياته، رجع إلى نفسه، فاستغفر الله وتاب، فتنصلح أموره ويجد أثر ذلك في استقرار أحواله.

قال النبي صلى الله عليه وسلم:

"عجبًا لأمر المؤمن، إن أمره كله له خير، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن: إن أصابته سراء شكر فكان خيرًا له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرًا له"

يسعى المؤمن للصلاح، ويرجو الخير في المصيبة، متأملًا في معناها: أهي له أم عليه؟

كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول في دعائه:

"رب أعني ولا تعن علي، وانصرني ولا تنصر علي، وامكر لي ولا تمكر علي".

تتنوع الحكمة من المصيبة بين رحمة وابتلاء وعقوبة واستدراج، ويبقى الميزان الفاصل هو حال القلب مع الله. فكلما قوي الإيمان، عظم أثر السكينة وهدأت النفس.

في قصة الخضر مع الغلام، كان قتله مصيبة عظيمة أحزنت والديه، لكن إيمانهما جعلهما يطمئنان بأن ما حدث خير لهما.

قال الله تعالى:
﴿وَأَمَّا ٱلْغُلَـٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَـٰنًا وَكُفْرًا فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا﴾ [الكهف: ٨٠.٨١]
إيمان الوالدين أكّد أن هذا الحدث فيه خيرٌ لهما.

وفي قصة الخضر أيضًا بناء الجدار:
كان بناء الجدار مكرًا لليتيمين ورحمةً وحفظًا لمالهما لأن أباهما كان صالحًا، وكان مكرًا على أهل القرية لأنهم كانوا بخيلين وخبيثين.
العبرة بالإنسان لا بالحدث؛ فكلما كان أطوع لله وأقوى إيمانًا، عاش مطمئنًا.
ولهذا نجد النبي صلى الله عليه وسلم بعد ما تعرض له من أذى وسخرية في رحلة الطائف، حيث أغرى المشركون الغلمان أن يرمونه بالحجارة، رفع يديه إلى السماء وقال:
"اللهم إني أشكو إليك ضعف قوتي، وقلة حيلتي، وهواني على الناس، أنت رب المستضعفين وأنت ربي، إلى من تكلني؟ إلى بعيد يتجهمني، أم إلى عدو ملكته أمري؟ إن لم يكن بك غضب علي فلا أبالي، ولكن عافيتك هي أوسع لي".
الهم الحقيقي ليس في وقوع المصيبة، بل في سببها:
إذا لم تكن غضبًا، فلا مشكلة مهما كانت شديدة.
من كان بعيدًا عن الله يقلق حتى من الخير، فقد تتحول النعم إلى فتنة. أما المؤمن المطاع لله ولرسوله، فيسير مطمئنًا، واثقًا بأن كل ما يصيبه خير، سواء بدا له ظاهرًا خيرًا أو شرًا.
﴿فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَـٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾
من أعرض عن الطاعة ضر نفسه، لا يضر الله ولا رسوله ولا الدعاة، والخسارة تقع عليه وحده.
من صور التغابن
أن تدفع المصيبة البعض إلى البعد عن الله، فيترك الصلاة، أو المسجد، أو تترك المرأة حجابها، فيكون رد الفعل على المصيبة سببًا لمصيبة أعظم؛ والإنسان لا يضر بذلك إلا نفسه، لذا فالحكمة في التعامل مع المصائب ضرورة لتجنب الخسارة المضاعفة.

(الآية 13)
﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾
الله وحده المستحق للعبادة، وفهم صفاته يعين المؤمن على التوكل عليه، حتى في المصائب.
الثقة بالله تجعل المؤمن يرى الخير في كل أحداث الحياة، حتى لو لم تُدرك حكمة ذلك فورًا.

التوكل في حياة الأنبياء

كان سيدنا يعقوب عليه السلام مثالًا حيًا في التوكل وحسن الظن بالله، رغم المصائب التي تعرض لها

قال تعالى على لسان يعقوب:

﴿وَقَالَ يَٰبَنِيَّ لَا تَدۡخُلُواْ مِنۢ بَابٖ وَٰحِدٖ وَٱدۡخُلُواْ مِنۡ أَبۡوَٰبٖ مُّتَفَرِّقَةٖۖ وَمَآ أُغۡنِي عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٍۖ إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۖ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَعَلَيۡهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُتَوَكِّلُونَ﴾ [يوسف: ٦٧]

فحفظ الله سبحانه وتعالى له أولاده يوسف وإخوته، وحققت مصيبته في النهاية خيرًا له ولأسرته.

وقال تعالى:

﴿فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلۡبَشِيرُ أَلۡقَىٰهُ عَلَىٰ وَجۡهِهِۦ فَٱرۡتَدَّ بَصِيرٗاۖ قَالَ أَلَمۡ أَقُل لَّكُمۡ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾ [يوسف: ٩٦]

قال الله تعالى في الحديث القدسي:

"أنا عند ظن عبدي بي"

التوكل الحقيقي والاعتماد على الله أساس تحقيق الطمأنينة في الحياة، وأن كل ما يفعله الإنسان من أسباب يجب أن يكون مقرونًا بالثقة في الله.

يتضح من الآيات الكريمة

التوازن بين الأخذ بالأسباب والتوكل؛ فالمؤمن يأخذ بالأسباب ويبذل جهده، ولا يعتمد عليها وحدها، بل يتوكل على الله.

الكمال في التوكل يتحقق بجمع السعي والعمل الصالح مع الثقة بالله، أما التقصير في العمل بالأسباب هو خلل في التوكل.

(الآية 14)

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجِكُمۡ وَأَوۡلَٰدِكُمۡ عَدُوّٗا لَّكُمۡ فَٱحۡذَرُوهُمۡۚ وَإِن تَعۡفُواْ وَتَصۡفَحُواْ وَتَغۡفِرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ﴾

يحذر الله من أن بعض الزوجات والأولاد قد يكونون سببًا في خسارة الإنسان، ليس عداءً، بل لشدة الحب.

فبسبب العاطفة قد يطيع الإنسان ما يؤدي إلى معصية أو تقصير في الطاعة، فيضر نفسه ويخسر يوم القيامة.

﴿عَدُوّٗا لَّكُمۡ﴾

فالعمل الذي صدر منهم دون قصد هو عين ما كان العدو سيفعله، فالنتيجة واحدة رغم أن النية كانت المحبة.

كأن تمنع الزوجة زوجها من الذهاب لصلاة الفجر في المسجد بحجة أنها تخاف وحدها.

أن تمنع الزوجة زوجها من صلة رحمه، فيؤجل زيارة أقاربه البعيدين أو يتركها مدة طويلة، فيقع في التقصير.

أن يكون الرجل عازمًا على أداء العمرة، أو قادرًا على الحج، فيطلب منه أولاده ألا يسافر.

قد يرضي الأب أبناءه في أمور محرمة بدافع العاطفة، فيقع في المعصية بحجة إسعادهم، كالسماح بما فيه منكرات أو التفريط في الحجاب يوم الزواج. وهذه أخطر الصور؛ لأن الاستجابة هنا تحقق ما يريده الشيطان، وإن كان الدافع محبة الأب لأولاده.

قال النبي صلى الله عليه وسلم:

"لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين"

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه:

"يا رسول الله، لأنت أحب إليَّ من كل شيء إلا من نفسي""، فقال عليه الصلاة والسلام: "لا يا عمر، حتى أكون أحب إليك من نفسك""، فقال عمر: ""الآن يا رسول الله، أنت أحب إليَّ من نفسي"".

لا يستطيع الإنسان أن يترك الحرام أو يضبط سلوكه، مهما كان الدافع، إلا إذا كان حب الله ورسوله أعلى من كل حب.

الحل هو ترتيب المحبوبات: الدنيا صراع بين المحبوبات، وعند التعارض يجب أن يقدّم المؤمن حب الله ورسوله على كل محبوب، حتى لو خسر بعض متاع الدنيا، فلا يطيع أهله في معصية رحمة وحماية لهم.

سبب نزول الآية:

نزلت الآية في مجموعة من المهاجرين وقيل إنها نزلت في عوف بن مالك الأشجعي رضي الله عنه، حين أراد الهجرة من مكة إلى المدينة بعد هجرة النبي صلى الله عليه وسلم

ترددت زوجته في الهجرة فأقنعته بالبقاء معها فترة في مكة، فاستجاب لها.

فلما وصل إلى المدينة وجد أن الصحابة سبقوه في التعلم من النبي صلى الله عليه وسلم، فغضب واشتد عليه شعوره بالرغبة في معاقبة زوجته.

فأنزل الله تعالى الآية لتوجيهه إلى العفو والصفح والمغفرة.

لا تستقيم حياة العبد حتى يكون الله ورسوله صلى الله عليه وسلم أحبَّ إليه من كل شيء، وإلا فسدت دنياه ووقع في المعصية.

ملخص المحاضرة الثالثة عشر

العدو المحبوب

قد يواجه الإنسان مواقف في حياته لا يحصل فيها على المال أو المصلحة إلا بارتكاب معصية، فلو كان حب الله ورسوله أحبّ إلى قلبه لاختارهما.

قال الله تعالى:

﴿ قُلۡ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمۡ وَأَبۡنَآؤُكُمۡ وَإِخۡوَٰنُكُمۡ وَأَزۡوَٰجُكُمۡ وَعَشِيرَتُكُمۡ وَأَمۡوَٰلٌ ٱقۡتَرَفۡتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٞ تَخۡشَوۡنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرۡضَوۡنَهَآ أَحَبَّ إِلَيۡكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٖ فِي سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّىٰ يَأۡتِيَ ٱللَّهُ بِأَمۡرِهِۦۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴾ [التوبة: ٢٤]

وخُتمت الآية بوصف الفسق؛ لأن من قدّم هذه الأصناف من الناس على محبة الله ورسوله فاسق خارج عن طاعة الله.

يستطيع الإنسان أن يُرضي أهله، ويُحسن إليهم ويُداريهم من غير تفريط في دينه، فيحمي نفسه من التغابن والخسارة.

الحب الحقيقي لا يضرّ

الحب المذموم هو كل حب مقدم على حبّ الله وطاعته.

فإذا دفع هذا الحبّ صاحبه إلى فعل الحرام، دلّ ذلك على خلل في ميزان المحبة، إمّا:

بتجاوز حبّ المخلوقين، أو بنقص حبّ الله في القلب.

وليس كل استجابة دليل محبة؛ فالذي يحب غيره لا يضرّه، بل يمنعه مما يؤذيه في دينه ودنياه.

من يدفعك إلى الحرام لا يحبك، المحب الصادق هو من يعينك على طاعة الله.

كمثل حب امرأة العزيز ليوسف عليه السلام، الذي كان حبًّا شهوانيًا لا حبًّا حقيقيًا، فانقلب إلى عداوة.

الموقف الصحيح إذا طلب الأهل أمرًا فيه معصية أو تعطيل لطاعة لا يُستجاب لهم، مع الرفق، والاحتواء، وجبر الخاطر، وبيان أن الدين مقدّم على كل شيء، وتعويضهم بحسن المعاملة.

﴿ وَإِن تَعۡفُواْ وَتَصۡفَحُواْ وَتَغۡفِرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾

فمع عدم الاستجابة للمعصية، أمر الله بالتجاوز والعفو والصفح، لأن ما يصدر من الأهل غالبًا يكون بدافع الحب أو سوء التقدير.

وهذا يبيّن أن العفو من ملامح القوامة وليست القسوة والتسلط بل رحمة وحكمة وعفو يقود الأسرة إلى طاعة الله.

من جعل حبّ الله أعلى من كل شيء، سلم من الفتن، وحُفظت علاقاته، واستقامت دنياه وآخرته.

القوامة والحكمة في إدارة الأسرة

القوامة تعني صفات القائد؛ أي القدرة على التصرف بحكمة وإدارة من تحت قيادته، وفي بعض الأحيان يكون العفو والصفح والمغفرة هو الحل الأمثل.

ليس من الحكمة العقاب الشديد في كل موقف، بل العفو مع التوجيه والحكمة يضمن استمرار العلاقة.

الفرق بين العفو والصفح والمغفرة

العفو:

هو عدم العقوبة، أي مسامحة الشخص وعدم عقابه.

الصفح:

هو عدم اللوم و العتاب.

فقد تُسامح شخصًا على أذى وقع منه، لكن تظل تلومه، وهذا غير صحيح. الصفح يعني أن تتجاوز عن العقوبة ولا تلومه على ما فعل.

المغفرة:

الستر الكامل وعدم إعادة ذكر الخطأ، سواء لك أو للآخرين.

فلا تُعيد الحديث عن الخطأ، ولا تُثيره أمام أحد، بل تغطيه تمامًا وتستره، وهذا من المروءة.

التعامل الحكيم هو ملاحظة الزلات والأخطاء وعدم إهمال التوجيه والنصح.

الزوج الحكيم يتعامل بالحكمة، ويعلم أن الزوجة قد تقع في أخطاء أحيانًا بسبب العاطفة أو ظروف الحياة.

الرفق أفضل من العنف،

قال صلى الله عليه وسلم:

"إنَّ اللهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفقَ، وَيُعْطِي على الرِّفق ما لا يُعطي عَلى العُنفِ"

فالبيوت تُدار بالمداراة، والمرأة تُقدّر من يُقدّرها ويحترمها ويعاملها بلطف وكلام طيب.

عندما يسامح الزوج زوجته دون عتاب أو لوم، مع علمها بأنها مخطئة:

تُقدّر هذا التصرف كثيرًا، وتبذل جهدًا أكبر لإرضائه.

مما يُعزز الاحترام والحب المتبادل، ويقوّي الروابط الأسرية، مع الالتزام بما يرضي الله سبحانه وتعالى.

نصيحة عند اختيار شريك الحياة :
اختر ذي المروءة والأخلاق العالية، القادر على التسامح والاحترام، فهذا يسهل الحياة الزوجية ويجعلها برضا لله سبحانه وتعالى.
﴿ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾
المكافأة عظيمة: من يعفو ويصفح ويغفر، له المغفرة والرحمة يوم القيامة.
مبدأ المعاملة بالمثل مع الله
فكما تحب أن يعاملك الله يوم القيامة: لا يعاقبك، ولا يوبخك، ولا يفضحك، فابدأ بنفسك مع الآخرين: أعفُ، وأصفح، واغفر لمن أساء إليك.
قال النبي صلى الله عليه وسلم :
"الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحَموا مَن في الأرضِ، يرحَمْكم مَن في السَّماءِ".

قال النبي صلى الله عليه وسلم:
"كان رجل من أمثالكم، لم يكن له خير كثير، ولكنه كان يقرض الناس قرضًا حسنًا ويبعث عامله عند السداد، ويقول: من وجدته موسرًا فخذ منه، ومن وجدته معسرًا فتجاوز عنه، لعل الله أن يتجاوز عني غدًا" فلقي الله فقال له: "له نحن أحق بذلك منك"، فتجاوز عنه وأدخله الجنة."
التسامح والعفو عن الآخرين قد يكون سببًا لتجاوز الله عنا يوم القيامة.
من باب أولى أن يبدأ الإنسان التسامح مع الأقرب: الزوجة والأولاد، فالأخلاق الحقيقية تظهر في المنزل، وليس أمام الناس، فالعصبية والشتم مرفوض داخل الأسرة.

قال صلى الله عليه وسلم:
"خيركم خيركم لأهله"
وقال الله تعالى:
﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجۡرٌ عَظِيمٞ ﴾
[الأنفال: ٢٨]
أي أنهم اختبار من الله للصبر والحكمة والتعامل الصحيح، وليست الفتنة شيئًا سلبيًا بالضرورة.
قال النبي صلى الله عليه وسلم:
"الولد مجبنة، مبخلة، مجهلة"
المجبنة: أي أن الولد قد يجعلك تخاف على نفسك ولا تذهب للجهاد في سبيل الله خوفًا من مصيره بعدك، حتى لو كان رضيعًا لم يطلب منك شيئًا.

ملخص المحاضرة الثالثة عشر

العدو المحبوب

المبخلة: تجعل الإنسان يبخل في الصدقة، وقد يمتنع عن أداء الواجبات أو المستحبات، ويضع المال أولًا لأولاده على حساب ما يجب إخراجه.
المجهلة: تجعل الإنسان يقصر في طلب العلم أو حفظ القرآن أو حضور مجالس العلم.
فالولد فتنة واختبار ينجح فيه الإنسان أو يفشل.

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب على المنبر إذ جاءَ الحسن والحسين عليهما قميصانِ أحمرانِ يمشيانِ ويعثُرانِ ، فنزل رسول الله صلّى الله عليه وسلم من المنبرِ فحملهما ووضعهما بين يديه،
ثم قال :
"صدقَ اللَّهُ إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ نظرتُ إلى هذينِ الصَّبيَّينِ يمشيانِ ويعثُرانِ فلم أصبِر حتَّى قطعتُ حديثي ورفعتُهما"

(الآية 16)
﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ وَٱسۡمَعُواْ وَأَطِيعُواْ وَأَنفِقُواْ خَيۡرٗا لِّأَنفُسِكُمۡۗ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾
يتقون الله بقدر طاقتهم، وبذل الجهد والمستطاع في الامتثال، فالفعل متعلق بالاستطاعة.
ضوابط لكي ينجح الإنسان في اختبار الفتنة مع الأولاد والأموال:
الالتزم بشرع الله في اكتساب المال والإنفاق، وتجنب الحرام.
الإنفاق في سبيل الله.
الحرص على أداء الواجبات المستطاعة، مع بذل الجهد في المستحبات.
قال النبي صلى الله عليه وسلم:
"ما أمرتكم به من أمر فأتوا منه ما استطعتم، وما نهيتكم عنه فاجتنبوه"

﴿وَأَنفِقُواْ خَيۡرٗا لِّأَنفُسِكُمۡۗ﴾
الإنفاق يعوض التقصير.

" قال حذيفة بن اليمان رضي الله عنه: ""فتنة الرجل في أهله وماله وولده وجاره تكفرها الصلاة والصدقة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر".

ملخص المحاضرة الثالثة عشر

العدو المحبوب

قال النبي صلى الله عليه وسلم:
«والصدقة تطفئ غضب الرب»

كما جاء في الحديث أيضًا من السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله:
«رجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه»

قال صلى الله عليه وسلم للنساء:
«يا معشر النساء تصدقن فإني رأيتكن أكثر أهل النار»
الصدقة تحمي الإنسان من الوقوع في النار بسبب التقصير، وتكفر الذنوب وتطهر النفس.
الصدقة تطهر القلب من حب الدنيا
الصدقة أفضل استثمار للمال، بالاستفادة من مالك في طاعة الله فتجنبك التغابن يوم القيامة.
أثر الصدقة في الحماية من الفتنة

الصدقة تنزع البخل والشح من القلب، وتحمي من حب الدنيا وأمراضها الروحية، وتمنع الإنسان من المعاصي كالغش والسرقة والظلم.

﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾
فالإنسان الذي يوق شح نفسه ويبتعد عن البخل هو المفلح

الشح أعظم من البخل:
البخل: هو الامتناع عن العطاء مما في يدك.
الشح: هو الامتناع عن العطاء مما في يدك مع الطمع فيما في أيدي الآخرين.
الشح يؤدي إلى قطع الرحم، وعقوق الوالدين، والسرقة، والغش، والرشوة.

علاج الشح هو الصدقة التي تضعف هذا المرض تدريجيًا، وتحرر العبد من التعلق بالدنيا، فتزهد النفس في الدنيا، ولا تقع في المعاصي.
الآية 17(
﴿ إِن تُقۡرِضُواْ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗا يُضَٰعِفۡهُ لَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ﴾

الصدقة تشبه القرض الحسن، فتعود للمتصدق وقد ضاعف الله أجرها، وغفر بها الذنوب.
قال النبي صلى الله عليه وسلم:
«ما من مسلم مؤمن يتصدق بصدقة من كسب طيب، ولا يقبل الله إلا طيبًا، إلا أخذها الله بيمينه فنماها له وربّاها له كما يربي أحدكم فلوه، حتى تصير مثل الجبل يوم القيامة»
الفلوة: الحصان الصغير.

﴿شَكُورٌ حَلِيمٌ﴾
شكور: يعطي الكثير على العمل القليل.
حليم: يؤخر العقوبة عند الخطأ.

(الآية 18)
﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾
عالم الغيب والشهادة: يعلم كل ما كان وما سيكون وما لم يظهر بعد.
العزيز: الذي لا يُغلب ولا يُغالَب.
الحكيم: في كل شرعه، وكل أمره، وفيما قضى لعباده، وما أوقعه عليهم من الأقدار، حتى المصائب له حكمة فيها سبحانه وتعالى.

أسأل الله أن يرزقنا الفردوس الأعلى، وأن يحبب إلينا الإيمان والقرآن، ويعيننا على طاعته.
سبحانك اللهم ربنا وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك. السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.